العرب
الأربعاء 2023/07/26
السنة 46 العدد 12842

اللبناني طارق القاصوف يرمّم الصرح الوجودي

أعمال فنية تمعن في ماهية الإحساس بالفقد

يشارك الفنان اللبناني طارق القاصوف جمهوره أسئلته الوجودية التي يبحث لها عن إجابات ويقدمها إلى المتلقي في إنجازاته التشكيلية، وهذه المرة يقدم صياغات هندسية ومنحوتات ابتكرها من إحساسه بالفقد ومن الأفكار الوجودية دائمة الضجيج داخل مخيلته.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

ورد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال "اذكروا هادم اللذات". وما هادم اللذات إلا الموت. أما "الفقد" فيمكن اعتباره المعنى الذي يطال كل درجات وظلال الموت دون أن يكونه.

الفنان اللبناني طارق القاصوف يغوص في إحساس الفقد هذا وفي أبعاده الماورائية بعيدا عن الميلودرامية ليخرج ببصريات مُعبرة ترتقي إلى مستوى "حالة" أهم مميزاتها أنها غير معنية بالمشاعر الهشة والتأملات المحدودة والأوجاع الجسدية المعهودة لتتقمص أشكالا ومعادلات هندسية/بصرية متنوعة تقيم توازنا فنيا وفلسفيا على حد السواء، توازنا يرسي الصمت والسكينة حتى في أقسى معاني درجات الفقد الذي كشف عن ذاته من خلال لغة الهندسة العالمية.

تقدم صالة صالح بركات اللبنانية حتى آخر شهر أغسطس القادم معرضا للفنان اللبناني متعدد الوسائط طارق القاصوف تحت عنوان، إن أردنا تعريبه حرفيا من الإنجليزية إلى العربية، "كل آت قريب". غير أن الناظر إلى أعمال الفنان في المعرض وإلى ما قدمه سابقا وإلى ما قاله في مناسبات مختلفة وما يقدم به معرضه الحالي سيعرّب عنوان المعرض إلى "غدا هو الآن".

فالمستقبل حاضر في أعماله وفي المدّ الذهبي الذي يحيط ويتداخل ويمتد خلف أشكاله أو يركن في فراغ الشقوق المستقيمة وفي المساحات الضيقة بين الأشكال، سواء كان ذلك في المنحوتات أو في اللوحات. أما الحاضر فموجود في كنف المستقبل الذي تحاذي لامرئيته النسبية كل ما هو ذكرى من ماض بعيد توالدت منها الأشكال أفقيا وعموديا.

ويذكر البيان الصحفي المرافق للمعرض أن ما يقدمه الفنان هو "محاولة بلوغ نوع من التأقلم مع واقع الحال الذي يأسره الحزن. وهو أيضا بحث في المشاعر الإنسانية وردود الفعل الأولية أمام الفقد بأنماطه المختلفة. ينطلق المعرض بداية من التأمل في مدينة كثيرة التناقض وهي بيروت حيث يرتع الموت والحياة وعدم الاستقرار وتتالي الحوادث المفجعة، وصولا إلى ما يحدث في العالم من مآس. غير أن الفنان يريد من نصه الفني أن يبث الأمل في نفوس الناظرين إلى أعماله لعل في هذا التأمل بداية لحياة يقل فيها الرثاء ويكثر فيها التفاؤل.

> الفنان يعبر عن مرور الزمن في عدة أعمال نحتية بعضها ينتصب قرب بعض، وجعل الظل في بعض لوحاته ضوءا ذهبيا

ويشير البيان الصحفي في هذا الصدد إلى أن معرض طارق القاصوف الذي يضم 50 عملا فنيا متنوعا يأخذ المُشاهد إلى زيارة خمس مراحل متتابعة من الحزن وهي: الإنكار والمساومة والكآبة والرضوخ للأمر الواقع ومن ثم الوقوع على هذا السؤال المدوي "من أنت الآن؟".

وأورد البيان كلمات الفنان هذه حول أعماله المعروضة "بيروت لم تعد كما كانت خلال السنوات القليلة السابقة. مجروحة ومتشنجة في انعدام الحركة. الحياة القديمة ولّت ولم يعد بالإمكان الرجوع إلى أية حالة سابقة. ولكن قبل الحديث عن مشاركة الناس أحلامهم المزهرة مع بعضهم بعضا يجب الاعتراف ومشاركة الشعور بالهلع الجماعي الذي أصابهم. هذا المعرض هو نداء جاد للتفاؤل؛ دعوة إلى رحلة في تأمل الذات".

من ينظر إلى أعمال الفنان والمهندس طارق القواص سيدرك أن حالة القبول والتأقلم والتأمل ذات المراحل الخمس التي يتحدث عنها الفنان تنطلق أولا من الاعتراف بأن حالة "الفقد" المؤلمة هي جزء من الحياة، بل منارة ذهبية (يستعمل الفنان اللون الذهبي المشير إلى الماورائيات لاسيما المقدس كظل لأشكاله الهندسية التي تنفتح في أعمال عديدة كمسارات تأخذ الناظر إليها إلى ما هو خلف هذه الحياة وما خلف هذا الواقع المادي الضيق)، منارة ذهبية تعيد الإنسان إلى صوابه حين يختل به التوازن وحين ينسى ما اختبر من مآس وما شعر به من ضعف، وما آلت إليه أمور الغرور ونكران كل ما هو خارج فلكه الشخصي.

إن أردنا تشبيه مجمل أعمال الفنان في الصالة فيمكن تخيل مشهد ليلي واسع لقرية بعيدة حلّ عليها الظلام وتلألأت بمصابيحها كنجوم في سماء عميقة. وعلى الرغم من ضخامة العديد من الأعمال النحتية في المعرض، يبقى هناك شعور بما يخطف خطفا وما يخطر ويومض ويموت ويحيا في أشكال أو في بُعد آخر خارج هذا العالم المادي. ثمة أمل، ولكن ليس خارج الحزن. أما الأضواء فلا تظهر بقيمتها الحقيقية إلا حين تومض في الظلام.

واستطاع الفنان أن يعبر عن مرور الزمن في عدة أعمال نحتية بعضها ينتصب قرب بعض، وجعل الظل في بعض لوحاته ضوءا ذهبيا والصورة الأصلية مجرد وهم.

وأكثر ما يلفت الانتباه في أعمال طارق القاصوف هو هذا التنوع الشديد لدى تناوله العناصر الهندسية ذاتها كالمكعب مثلا. فهو في كل عمل يكتسب هيئة مختلفة تحت سلطة التناغم تارة والتنافر تارة أخرى بين النور والعتمة. وهو يظهر في إحدى لوحاته متكاثرا مُرتجّا كموسيقى كونية تحافظ على توازنها "العلمي" ولكن دون أن تفقد، على الأقل في عين المشاهد، صفة الارتجالية التي تفتح المكعب والمستطيل والمثلث إلى هيئات ووظائف مختلفة لا تعرف الاستقرار حتى وهي في خضم توازنها.

أما سؤال كيف استطاع طارق القاصوف الإمعان في التحدث عن الإحساس بالفقد، الذي كما قلنا آنفا هو أهم ما يرافق كل إنسان ويحفر في وجدانه عمقا بعد عمق، من خلال أعمال تبدو لأول وهلة شديدة البرودة، فهو سؤال جوهري.

> المستقبل حاضر في أعمال الفنان وفي المدّ الذهبي الذي يحيط ويتداخل ويمتد خلف أشكاله أو يركن في فراغ الشقوق

فقد استطاع الفنان التعبير عن حالة الفقد باتخاذه صفة التوازن الشكلي كالعامل أو العنصر الأساسي في التأليف. والتوازن حين يبلغ أشده يحيل إلى برودة علمية وموضوعية فائقة.

جمع الفنان في أعماله النار والجليد بفضل هذا التوازن في الأشكال والخطوط والألوان القليلة التي لم تتخط الأبيض والأسود والذهبي والرمادي. وتمظهرت البرودة الملتبسة التي تذكرنا بألم الاحتراق الذي نشعر به حين نضع يدنا على قطعة جليد بالغة التماسك، حضرت في تكور الأشكال بانسياب غرافيكي دقيق، وفي غياب الألوان واختصار الخطوط واحتداد الأشكال الهندسية وتضخم المنحوتات الحجرية في نصب شاهقة تطل على الإنسان/التفصيل الأدنى من الكون (لو كان يتذكر).

ولا يأتي هذا التوازن إلا بعد الشعور بالفقد، والأهم من ذلك بعد إدراك وجوده ذهنيا وشعوريا في الوقت ذاته، أو تباعا. لا يهم. ما يهم هو هذا الشعور الجوهري بالفقد الذي يجعل الإنسان أكثر إنسانية وأقل عدوانية تجاه الآخر، ويجعله أيضا يشيد صروحا كصروح الفنان طارق القاصوف، صروحا تحتضن النور وتصدّره، تجاور العتمة وتقيم دوما حسابا لـ"هادم اللذات".

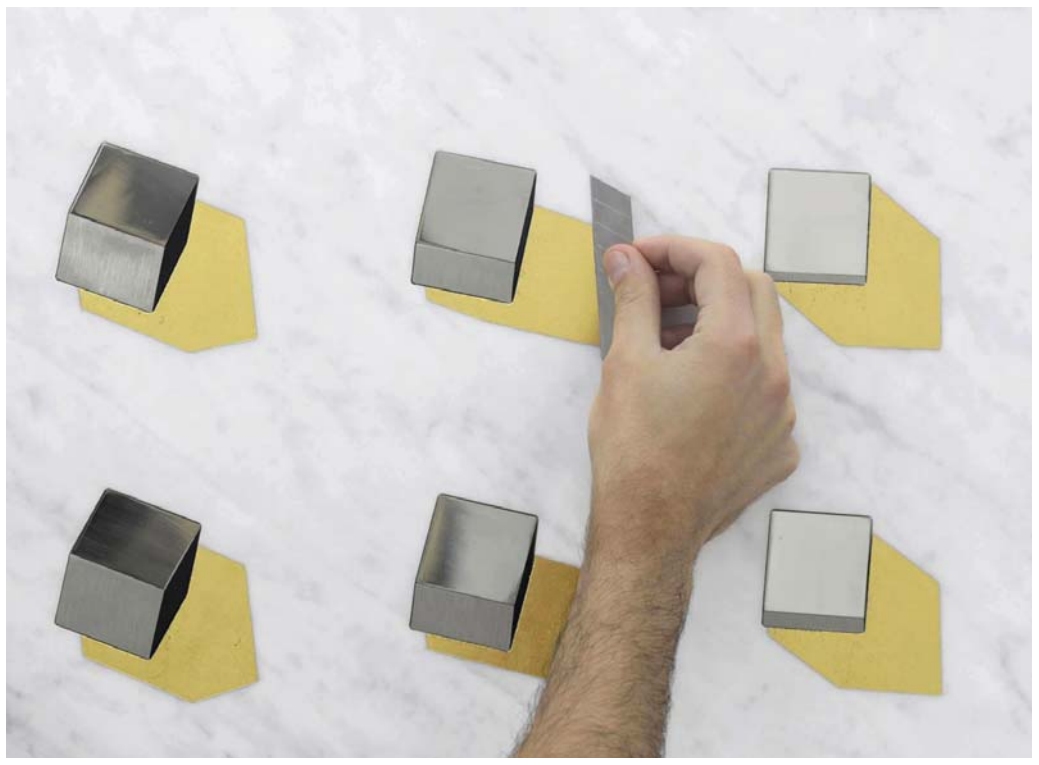

توازن في الأشكال والخطوط والألوان

التجريد يخلق خرائط عميقة في أعمال الأردني أنور الحوراني

عمّان - ينحاز التشكيلي الأردني أنور الحوراني في أعماله الفنية إلى عالم التجريد، مع العناية بالخطوط المتنوعة والأشكال المتداخلة والألوان المتجاورة والظل والضوء.

ويقدم الفنان في معرضه "همسة ريشة ولون"، المقام بقاعة نادي المعلمين، عناصر اللوحة وفق رؤية تعنى بالبُنى الهندسية وتلامس روح العمارة التي هي الميزة الأساسية لأيّ مدينة بما تنطوي عليه من معانٍ تاريخية تراثية وحضارية وإنسانية.

هذا المعرض هو الأول في مسيرة الفنان الذي يعمل أساسا في قطاع التعليم ويمارس الرسم كهواية منذ عقود.

ويضم المعرض الذي نأى ما أمكن عن تقديم مشاهد واقعية مألوفة، حوالي مئة لوحة جاءت متعددة الأحجام ومنفذة بالألوان على القماش. وتبرز العناصر خلال اللوحة عبر عوالم تشكيلية هندسية مبسّطة، تضج بالحيوية والحركة والأبعاد التي حاول الفنان إبرازها من خلال التشكيل الهندسي. وبذلك يستطيع المشاهد التقاط مفردات المكان الذي تعبّر عنه اللوحة، مثل النوافذ أو الأبواب أو الشرفات، لكنه لا يرى ما اعتاد على رؤيته في الواقع، فقد تنساب الشرفة وتصبح خطوطها مندوحة في كل اتجاه، وقد تتحول الأبواب ذات الأقواس إلى خطوط تتلوها خطوط وتتداخل معًا في نقطة ثم تعاود الانفصال عن بعضها البعض في نقطة أخرى. كما تنعكس ظلال الأشكال المتداخلة على المشهد الكلّي للوحة التي تصحب المشاهد نحو عوالم ميتافيزيقية جمالية وثرية.

وفي عدد من لوحات الحوراني ثمة مشاهد تحيل إلى خرائط بصرية عميقة، تقارب إلى حد بعيد تلك التي يمكن مشاهدتها من نافذة طائرة وهي تحلّق مبتعدةً عن الأرض، وهذه الخرائط ثنائية الأبعاد جاءت غالبًا لتعكس إحساس الفنان بالمكان، حيث يتجاور البحر مع الصحراء أو مع مربعات من الأسود والأحمر موشّحة ببقع ودوائر تظهر كما لو أنها فواصل أو جسور نبتت من الأرض، والخارطة بمجملها تحاكي تقارب الأفكار الخيالية والنفسية الذهنية وتبتعد عن الواقع قدر الإمكان.

واشتغل الحوراني على الألوان الحارة والباردة وتدرّجاتها، خاصة الأحمر والأزرق والأخضر والبُنّي الغامق، التي تتجاور معًا ضمن تجانس لوني مدروس، محاكيًا من خلال تلك الأشكال والألوان وظلالها مداخلَ المدن وصخب الأحياء وأنماط العمارة التي تبدو غريبة وغامضة تشدّنا إلى شيء نعرفه ونألفه فيها تارة، وتارة أخرى تتجاوز ما هو مألوف بالنسبة إلينا دون أن تتخلى عن بيئتها الشرقية التي أنتجتها بينما هي تجترح أشكالها الخاصة التي تحرك المشاعر وتثير عواصف من التخيلات والأفكار والتساؤلات.

وفي مجموعة أخرى من الأعمال استخدم الحوراني لونين هما الأسود والأبيض، وجاء التشكيل الهندسي فيها حادًا وواضحًا ومقاربًا لفكرة الزخرفة العربية؛ حيث تتماوج الخطوط وتتداخل الأشكال ضمن أنماط بصرية محددة، مع الاشتغال على ثراء الخلفيات التي تحتضن هذه الأشكال.

وتتسم أعمال الحوراني بالخلفيات اللونية التي لا تخلو من موتيفات ورموز معبّرة وغنية بالدلالات، وغالبًا ما يستخدم الفنان الدوائر والنقاط والأقواس في تأثيث لوحاته ذات الألوان المبهجة والمحاكية للطبيعة، تلك التي حضرت في سلسلة من أعماله، حيث الشمس تنفرش على سطح الأرض، بينما الأوراق تتمدد وتتداخل، والبحار تنساب المياه فيها وقد اتخذت ألوانًا من الأبيض والأزرق والأحمر والأسود والأخضر.

عوالم هندسية مبسطة

«الوردة الشامية» تجمع فنانين سوريين من مدارس متنوعة

دمشق - يتيح المعرض الفني الجماعي بعنوان "الوردة الشامية" حوارا فنيا غنيا بين 49 فنانا وفنانة من عدة أجيال في صالة الشعب للفنون بدمشق التابعة لاتحاد الفنانين التشكيليين السوريين.

المعرض الذي يأتي ضمن مهرجان جمعية بيت الخط العربي والفنون، يضم حوالي 55 لوحة بأحجام متنوعة وتقنيات ومواضيع مختلفة، غلب عليها موضوع الوردة الشامية وما يرتبط بالتراث الدمشقي من تفاصيل عديدة.

عن المعرض قال الفنان التشكيلي غسان غانم أمين سر اتحاد الفنانين التشكيليين "يأتي هذا المعرض إيمانا منا بأهمية التعاون بين الاتحاد وكل الجهات العاملة في حقل الفن التشكيلي، ومنها جمعية بيت الخط العربي والفنون بما تقدمه من رفد للحركة الفنية بمواهب مميزة ونشاطات وفعاليات فنية مدروسة ومتنوعة".

وقالت الفنانة التشكيلية والخطاطة ريم قبطان رئيسة مجلس إدارة جمعية بيت الخط العربي والفنون، والتي تشارك بلوحتين إحداهما خطية والثانية تشكيلية جسدت التراث الدمشقي، "أردنا من خلال هذا المعرض أن نقدم حالة حوار فني وبصري بين الفنانين المحترفين والشباب والمواهب الفنية الواعدة لخلق حالة إبداعية متجددة، سمتها دعم هذه المواهب، وعنوانها استمرار رسالة الفن السوري من جيل إلى جيل".

من جهته يشارك الفنان التشكيلي خلدون أحمد بلوحة حروفية رباعية غلب عليها اللون الأزرق، وعبر عن سعادته بالمشاركة في المعرض مع فنانين محترفين ومواهب فنية واعدة في هذا المهرجان الفني الغني والمتنوع.

أما الفنان الشاب محمد علاء الغبرة فيشارك بلوحة بتقنية الألوان المائية والأكريليك، تجسد حارة دمشقية تتوسطها الوردة الشامية ومزينة باسم دمشق وحرف "ع" الذي يرمز إلى معنى العشق، وعلى الجوانب زخرفة بتقنية القيشاني.

> 55
> لوحة بأحجام وتقنيات مختلفة، غلب عليها موضوع الوردة الشامية وما يرتبط بالتراث الدمشقي

ويشارك الشاب زيد محسن، ذو الثلاثة عشر عاما من طلاب الجمعية، بلوحتين؛ الأولى عن الوردة الشامية وجمعت الخط مع الرسم، والثانية حروفية، مبينا أن رغبته في المشاركة جاءت لأهمية الوردة الشامية كعنصر تراثي ذي دلالات عديدة ولمشاركة عدد كبير من الفنانين المحترفين في المعرض.

وتشارك الفنانة زمزم الحاج بلوحة بورتريه لأنثى بحالة تعبيرية مع الورود، مؤكدة أن المعرض مهم لكونه يجمع عدداً كبيراً من الفنانين من عدة أجيال، ويتيح لهم التعبير عن رؤاهم مع حالة الحوار والدعم للمواهب الصغيرة.

أما الموهبة الشابة الزمرد سويد ذات الـ15 سنة فقد رسمت ثلاث لوحات بتقنية الأكريليك على قماش، جسدت من خلالها الورود بالكثير من الحساسية اللونية، ما يَعد بموهبة فنية مميزة.

كما تشارك الموهبة الشابة جنا صقور ذات الـ16 سنة بلوحتين منسوختين عن لوحتين عالميتين بكثير من التميز وبإحساس عال بالظل والنور والتناغم اللوني، مبينة أنها تكتسب مهارات مهمة من خلال دراستها في دورات الجمعية ومشاركتها في فعالياتها المتنوعة.

تراث بلمسات مختلفة